

## نحو النص

### اتجاه جديد في دراسة النحو العربي \*

د. أحمد عفيفي .

أستاذ النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم جامعة القاهرة

### المقدمة

"علينا أن نعاني النحو معاناة تليق بوجودنا؛  
فالنحو مظهر الحركة المستمرة التي  
تمتاز بها العاطفة والإرادة والفعل".

د. مصطفى ناصف

تلك هي المقولة التي انطلقت منها إلى اختياري "نحو النص" Text grammar اتجاهها معاصرا في دراسة النص اللغوي؛ إيمانا بأن هذا "النحو" يجتذبه النص أكثر مما تجتذبه الكلمة أو الجملة، وأن تجزئة النص ليست إلا وهما أو خيالا، وبهذا المفهوم يتجاوز النص كل حدود المعيارية لنحو الجملة sentence grammar، كما أنه يتجاوز كل عادات القراءة التقليدية، وطرق التحليل النحوي المعروفة، التي خدمت اللغة قرونا طويلة، وما زالت. هذا النص المنجز الذي لا يتم تحليله نحويا إلا عن طريق مراعاة التفاعل والترابط بين جسد النص بأجزائه من ناحية، ومدلولاته المتنوعة من ناحية ثانية، وكذلك مراعاة التفاعل بين المبدع والمتلقي من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءا لا بأس به من اهتمام نحو النص.

---

\* للبحث بقية تنشر في العدد القادم

والنحو - بشكل عام - هو ذلك العلم الذي يُفصِّح ويكشف عن خبايا المباني اللغوية وطريقة ارتباطها بالمعاني والدلالات العقلية والنفسية، وبهذا فإن مهمة النحو أن يجلي عبقرية النظام اللغوي في النص وقدرته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النصي لفظاً ومعنى، تلك الوسائل التي تساعد النص على تلاحم أجزائه وترابطها؛ ليعطي معناه للمتلقي كما أرادها المبدع أو المتكلم؛ لأن المعنى كما يقول **هالداي ورقية حسن**<sup>(١)</sup> - "يعطي للنص شخصيته، والنص يعطي للغة شخصيتها".

إذا تجاوزنا هذه المفاهيم وأضفنا خوف البعض من أن الدراسات اللسانية يزداد الأمر أمامها تعقيداً إذا ما تعدت الجملة إلى النص<sup>(٢)</sup>، وأضفنا تخوفاً **بيرفش Biewisch** عند دراسته تحليل الخطاب وشكه في إمكان وجود "نحو نصي" ملانم وكاف لوصف النص،<sup>(٣)</sup> أقول:

إذا أخذنا كل ذلك في الحسبان، أدركنا أننا لا بد أن "نعاني النحو" تنقيبا عن الحقيقة، ووصولاً إلى جلاء "نحو النص"، واضعين أماننا ملاحظتين:

١ - أن هذا الاتجاه الجديد "نحو النص" كان نتاج تفاعل مجموعة من العلوم المتنوعة، بعضها لغوي، وبعضها الآخر غير لغوي، ونتاج مجموعة من الثقافات المختلفة وتلاقحها وتمازجها.

٢ - أن نحو النص جاء تطويراً لبحوث لغوية مكثفة قامت بها المدارس اللغوية الأوروبية والأمريكية لفترة طويلة، حيث تداخلت كثير من الدراسات واختلطت؛ نتيجة لتلك الاختلافات المنهجية التي ساعدها أن بعض المدارس - مثل

---

<sup>(١)</sup> Halliday, M. A. K. and Ruqaiya Hasan 'Cohesion in English' London 1976. P. 299

<sup>(٢)</sup> محمد مفتاح. دينامية النص (تنظير وإنجاز) المركز الثقافي العربي. لبنان، ١٩٩٠. ص ٤٩.

<sup>(٣)</sup> د. سعيد حسن بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) لونجمان - القاهرة ١٩٩٧ ص ٥٥.

مدرسة براغ - كانت تضم مجموعة غير متجانسة تماما في أفكارها أو نظراتها إلى الظواهر اللغوية<sup>(١)</sup>، وأن بعض الدراسات اللسانية غير مفهومة - كما يقول **برند شبلنر Bernd Spillner** حتى عند ممثلي المدارس والاتجاهات النحوية النصية.<sup>(٢)</sup> واستمرت الدراسات اللسانية على تلك المنهجية إلى أن بدأت إرهابات نحو النص على يد **هاريس HARRIS** في بداية النصف الثاني من هذا القرن، وتطورت تلك الدراسات النصية في السبعينات على يد **فان دايك VAN DIJK** الذي يعد مؤسس علم النص أو نحو النص.<sup>(٣)</sup> والذي عاصره كثير من المؤلفين في هذا الاتجاه<sup>(٤)</sup>، حتى أصبح نحو النص، الذي ولد في عباءة علم النص أو نظرية النص، حقيقة راسخة على يد الأمريكي **روبرت دي بوجراند ROBERT DE BEAUGRANDE** في الثمانينات.<sup>(٥)</sup> ألا يستحق نحو النص إذا معاناة تكشف عن قضاياها وأهدافه من خلال هذا البحث الموجز؟ البحث الثاني سيكون إجابة عن

(٤) د. **محمود جاد الرب**: علم اللغة، نشأته وتطوره. دار المعارف - مصر ١٩٨٥. ص ١٠٦.

(٥) **برند شبلنر Bernd Spillner**: علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب - البلاغة علم اللغة النصي). ترجمة د. **محمود جاد الرب**. الدار الفنية ١٩٨٧. ص ١٩٠.

(٦) د. **صلاح فضل**. بلاغة الخطاب وعلم النص. المجلس الوطني الكويتي ١٩٩٢ ص ٢٥٢.

وانظر: د. **مصطفى قطب**: دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات. دكتوراه. كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، برقم ١٠٧٧ عام ١٩٩٦ ص ٤٤.

(٧) يشير **دي بوجراند BEAUCRANDE** و**دريسلر Dressler** إلى مجموعة أسماء قاموا بالتأليف في علم اللغة النصي وعلى رأسهم **Stempel** الذي ألف في علم اللغة النصي سنة ١٩٧١. ثم تلاه مجموعة أخرى عاصرت **فان دايك** منهم: **شميت Schmidt** و**برنكر Brinker**، و**ريزر Rieser**، و**هارتمان Hortmann**، و**هارفج Harvege**. وغيرهم ممن شاركوا بالتأليف في هذا العلم، غير أنه خص **فان دايك** بحديث مستقل؛ لما له من مجهود كبير في تأسيس هذا العلم.

انظر: Introduction To Text Linguistics.

Loncman. London and New York 1981. P. 14.

(٨) له مجموعة كتب منها الكتاب المشار إليه سابقا الذي اشترك مع **دريسلر** في تأليفه عام

١٩٨١. غير أن له كتابا آخر يحمل قيمة كبرى لنظرية علم النص أو نحو النص وهو كتاب:

النص والخطاب والإجراء الذي ألفه عام ١٩٨٠، والذي ترجمه الدكتور **تمام حسان** إلى العربية ونشره عام ١٩٩٨، عن عالم الكتب بالقاهرة.

قضاياها وأهدافه من خلال هذا البحث الموجز؟ البحث الثاني سيكون إجابة عن هذا السؤال.

ينبغي أن يكون لكل بحث مساحة يدور في فلكها، وأن تكون مساحة هذا البحث محددة عن طريق ضوابط تقيده عند حد معين، فلا يتجاوزها من خلال خطة توطئه في مجموعة من المفاهيم والمعايير التي يسلكها البحث؛ ليقدم نفسه للمتلقي في رؤية واضحة وسبيل كاشفة.

ونظرا لأهمية القضايا التي يطرحها نحو النص، وتجاوزا لتلك المقولة التي تؤكد أنه "في كثير من الأحيان تكون إثارة القضايا المهمة أوضح من العناية بتطبيقاتها"، فسوف أحاول الجمع بين الاثنين: وضوح إثارة القضية، ووضوح التطبيق، فمن الأفضل أن تتعانق القضايا مع تطبيقاتها ليحكم لها أو عليها؛ فربما كانت التطبيقات سببا في الحكم عليها بالقبول.

مدخل تعريفى :

الجملة Sentence

اعتمدت الدراسات اللغوية منذ نشأتها في تناولها للغة على الجملة بمفهومها الذي يتسم بالتباين والغموض حتى وقتنا الحاضر. ففي النحو القديم تداخلت الجملة مع الكلام، ثم استقل كل منهما بشكل حاسم على يد جمال الدين بن هشام<sup>(١)</sup> حيث كان الكلام عنده هو القول المفيد بالقصد، والجملة عبارة عن الفعل والفاعل، والمبتدا والخبر، وما كان بمنزلة أحدهما. ثم تتابعت التعريفات لتشكل مجموعة من الاتجاهات والمفاهيم تظهر فيما يأتي:

---

وقد أشار دي بوجراند إلى هذا الكتاب في مؤلفه "مقدمة في علم اللغة النصي" المشار إليه في هامش رقم ٧، باعتباره ضمن المؤلفات في علم اللغة النصي.

(١) ابن هشام: مغني اللبيب. تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح ٣٧٤/٢ وانظر د.

محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية - دار الشروق القاهرة - ١٩٩٦ ص ٢٢ وقد قدم

الدكتور محمد حماسة دراسة مفصلة عن المصطلح وتطور معناه من ص ١٨ إلى ص ٢٧ .

" الجملة عبارة عن فكرة تامة "، أو هي " تتابع من عناصر القول، ينتهي بسكّنة "،  
أو " نمط تركيبى ذو مكونات تشكيلية " (١٠)

وفي مجموعة أخرى من التعريفات تستكمل الصورة؛ فالجملة هي: " سلسلة  
من المفردات النحوية المختارة، تضم في وحدة " أو " وحدة نحوية بين الأجزاء  
المكونة لأية حدود وتوابع توزيعة " أو " وحدة مجردة تؤسّر لكي تقدّم بياناً عن  
الاطرادات التوزيعة لمكوناتها " (١١) ويمكن أن تكون: " بناء لغويًا يكتفى بذاته،  
وتتربط عناصره المكونة ترابطاً مباشراً أو غير مباشر بالنسبة لمسند إليه واحد أو  
متعدد " (١٢) أو هي: " الوحدة التي تقدّم معنى كاملاً في ذاته " أو " ملفوظ تتصل  
عناصره بمحمول أو أكثر بينهما ترابط " (١٣).

والمتمأل لهذه التعريفات المتنوعة يرى هذا التباين الواضح في الاتجاهات  
التي تعتمد عليها التعريفات؛ فبعضها يرتكز على منطلق دلالي محض، وبعضها  
يرتكز على منطلق شكلي محض، وبعضها الثالث يعتمد على المزج بين الدلالة  
والشكل، غير أن معظم هذه التعريفات تؤكد - من خلال مفهومها - استقلالية  
الجملة، ويتأكد هذا في نحو الجملة، حيث يقتصر على دراستها منزوعة من سياقها.  
ولعل التعريف التالي يقترب بها من الاستقلالية الدلالية في حد ذاتها، مع  
ارتباطها بالسياق من جهة ثانية. التعريف يقول: " الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى  
دلاليًا واحدًا، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في  
السياق " (١٤) هذا الاستقلال النسبي ربما يكون لمنطق الدراسة فقط؛ فهو إذن حكم

---

(١٠) أورد هذه التعريفات **دي بوجران** في كتابه: النص والخطاب والإجراء ص ٨٨

(١١) أورد هذه التعريفات د. **مصطفى حميدة** في كتابه: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة  
العربية. لونغمان - القاهرة ١٩٩٧ ص ١٤٨.

(١٢) **جوزيف ميشال**: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.  
بيروت، ١٩٨٤ ص ٤٠.

(١٣) **جون كوين**: بناء لغة الشعر. ترجمة د. أحمد درويش دار المعارف - مصر ١٩٩٣ ص ٢٢

(١٤) د. **مصطفى حميدة**: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة ص ١٤٨.

مؤقت، لأن الجملة جزء من النسيج العام في بنية النص الكلية. ومن هنا يمكن تقسيم الجملة إلى نوعين: (١٤)

(١) جملة نظام: وهو شكل الجملة المجرد الذي يتولد عنه جميع أشكال الجمل الممكنة، وهو ما اتكأ عليه النحاة التوليديون والتحويليون، وهذا التناول يعطي للجملة معنى استقلاليا بعيدا عن السياق.

(٢) جملة نصية: وهي جملة تتسم بالتواصل مع جملة أخرى، حيث يحتويها نص ما، أو هي المنجزة فعلا في مقام، ولها مدلولها داخل السياق نتيجة ملابسات لا يمكن حصرها، يترتب على هذه الملابسات الفهم والإفهام. وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالاته من خلال الاتساق والانسجام (١٥) والنوع الأول يقع تحت نطاق نحو الجملة، وله أيضا مجموعة من النظم الحاكمة لطبيعة علاقة أجزاء هذه الجملة المستقلة، حيث "أوجد النظام اللغوي عددا من وسائل الترابط في الجملة، بعضها يعتمد على الفهم والإدراك الخفي للعلاقات. وبعضها الآخر يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة" (١٦) وقد قام النحاة العرب والبلاغيون بدراسة هذه الوسائل دراسة دقيقة لا مجال للتعرض لها هنا. أما جون لوينز (١٨) فله رأي آخر في تقسيم الجملة، حيث تقسم عنده إلى نوعين:

(١) جملة نصية: وهي التي تستقل في دلالتها داخل النص .

(٢) جملة غير نصية: وهي عبارة عن جزء الجملة، فالحكم عليها بأنها جملة نصية يوجد حينما تعطي دلالة ما، كأنها نص أو إشارة إلى نص مثل: " أنا لم أر ماري "

أما عندما نقول: " هل رأيت ماري؟ لم أرها. بيتز لم يرها أيضا. إنها ليست هنا حيث ينبغي أن توجد " .

(١٤) الأزهر الزناد: نسيج النص ( بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ) المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت

١٩٩٣ ص ١٤

(١٥) محمد مفتاح: . دينامية النص ص ٣١

(١٦) محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية ص ٧٤

(١٧) JOHN LYONS Linguistic semantics. Cambridge university press. 1995. P. 261 . 262

هذا النص يتكون من أربعة أجزاء؛ الأول فقط هو الذي يمكن أن يوصف بالنصية؛ لاشتغال الباقي على ضمائر؛ فهي غير مستقلة. لكن لو قلنا: لم أر ماري"، "بيتر لم ير ماري أيضا"، "إن ماري ليست هنا حيث ينبغي أن توجد" فقد تحول كل منطوق إلى جملة نصية. وهكذا تظهر اعتبارات كثيرة لتقسيم الجملة لا مجال لعرضها هنا.

## النص Text

ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص أنه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حد ذاته، إنما هو طريق للخطاب، أو كما يقول جيفري ليتش ومايكل شورت<sup>(١٩)</sup> إنه عبارة عن: "التوصيل اللغوي - سواء كان منطوقا أو مكتوبا - باعتباره رسالة فحسب تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية" وذلك يوحى - كما يقول الدكتور محمد عناني<sup>(٢٠)</sup> " بأن الحديث عن النص معناه التركيز على اللغة"، ومن هنا تأتي أهمية دراسة النص لتطوير الاتصال اللغوي بين البشر وتقويته وتحسينه، " فالمبرر الأكبر للدراسات اللغوية هو تحسين الاتصال "<sup>(٢١)</sup> واللغة بهذا المفهوم لا تكون إلا نصا مهمته التوصيل. ويستحيل - كما يشير جون كوين<sup>(٢٢)</sup> - أن نوصلي شيئا إذا لم يكن الخطاب مفهوما ولهذا ينبغي للخطاب - أي خطاب - أن يكون قابلا للفهم، وتلك هي البديهة الأساسية لقواعد الكلام. ومن هنا يكون الاتصال واقعا عن طريق النص لا عن طريق الكلمة أو الجملة المجردتين من النصية،<sup>(٢٣)</sup> وعلى هذا فإن مفهوم النص ضرورة ملحة نحاول تفصيله فيما يأتي:

(١٩) د. محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة. لوانجمان، القاهرة ١٩٩٧ ص ١١٦

(٢٠) السابق نفسه

(٢١) د. مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل. المجلس الوطني الكويتي ١٢٩٩٥ ص ٢٤١

(٢٢) بناء لغة الشعر ص ١٠١

(٢٣) الكلمة أو الجملة يمكن أن يحكم عليهما بالنصية إذا توافرت لهما شروطها التي سترد فيما بعد. ومن هنا يمكن أن نطلق على الكلمة أو الجملة نصا. وإن قل ذلك.

إذا كانت أراء النحاة — القدامى والمحدثين — قد تعددت حول تعريف الجملة، فإن النص لم يكن أسعد حظا من الجملة في ذلك؛ حيث تعددت تعريفاته وتتوعدت، بل وتداخلت إلى حد الغموض أحيانا أو التعقيد أحيانا أخرى؛ فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجمالية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه.

لقد احتل تعريف النص مساحة كبيرة عند المهتمين بلسانيات النص ومنه نحو النص، وسنحاول الإيجاز في هذا الشأن لضيق مساحة البحث.

أشار هاليداي Halliday ورقية حسن Ruqaiya Hasan<sup>(١٤)</sup> إلى أن كلمة نص Text تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أى فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة. ويظهر واضحا هذا التركيز على أن النص يتضمن المكتوب والمنطوق، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولا أو قصرا.

ويذهب برنكر Brinker وايزنبرج Isenberg وشتاينتز Steinitz وغيرهم إلى أن النص "تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة"<sup>(١٥)</sup> وعلى هذا يكون النص مركبا من عدة جمل أو نصوص مما يؤدي إلى غموض النص، أو انعدام الروابط أحيانا لاستقلال الجمل نسبيا على حد الاستنتاج السابق. ولهذا علق برند شبلنر Brend spillner على التعريف السابق قائلا: "هذا التعريف كما هو واضح دائري بمعنى أنه يوضح النص بالجملة، والجملة من خلال النص، كما أنه غير منهجي علميا، لغموض الرموز والعلاقات التي

Cohesion in English . P . 1<sup>(١٤)</sup>

برند شبلنر. علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٨<sup>(١٥)</sup>



يتضمنها اتساع الوصف، ومن ثم لا يمكن تطبيقه" (٢٦) لعدم وضوح التحديد الفاصل بين الجملة والنص من ناحية، وإمكانية وصف الجمل على أنها وحدات مستقلة من ناحية ثانية، مما يجعلنا نؤكد أن هذا التعريف يجعل النص وحدة أكبر من الجمل أو أننا وسعنا نطاق دراسة الجملة لتصبح نصاً، ويترتب على هذا كما يقول روبرت دي بوجراند (٢٧) *Robert de beaucrande* أن توسيع نطاق دراسات الجملة بحيث تشمل النصوص، لابد أن يفقد النصوص عدداً من الأمور الحيوية، وأن يسبب مشكلات عملية خطيرة" ومن ضمن هذه المشكلات التي أشار إليها دي بوجراند عدم ارتباط النص بالسياق أو بالموقف اللغوي وعدم وجود تماسك أو انسجام. ومن هذا المنطلق رفض جون لوينز *John lions* الإجابة عن ماهية النص والتي تقول "إن النص عبارة عن سلسلة من الجمل" رفض جون لوينز تلك الإجابة قائلاً (٢٨) "هذه الإجابة ليست مقنعة تماماً إذا كانت هذه الجمل المشار إليها هي جمل النص. فهذه سمة النصوص (الشكلية) ذات الصبغة الكلية. إلا أن هناك كثيراً من النصوص المستخدمة تتكون من جمل مختلطة .. مزيج من الجمل .. شظايا جمل .. تعبيرات جاهزة"، فإذا كان التعريف الأول الذي أوجد ترابطاً بين الجمل مرفوضاً لإمكانية وصف الجمل بالاستقلالية، فما بالنا ونحن أملد هذه الإجابة التي تؤكد أن النص عبارة عن "سلسلة متتابعة من الجمل" فلا رابط بين وحدات النص ولا يوجد سياق مناسب، ومن ثم — كما يقول جون لوينز — فلن النص بكيئته لابد أن ينطوي على مجموعة مميزة من الخصائص التي تفضي إلى التماسك والانسجام" (٢٩) "والنص — بالمعنى السابق — لن يكون إلا مجرد جمع للجمل، وهذا ما يجعلنا نقف بكثير من الحذر أمام ما ورد عند الدكتور سعد مصلوح في قوله: "أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل، أو نماذج الجمل،

(٢٦) السابق نفسه

(٢٧) النص والخطاب والإجراء ص ٦٤

(٢٨) Linguistic Semantics. P. 262

(٢٩) Ibid. P. 263

الداخلية في تشكيله"؛<sup>(٣٠)</sup> فقد فقدت الجمل — داخل هذا التعريف — خاصية الاتصال، أو خاصية ارتباطها بسياق خطابي، علاوة على ذلك فإن النص يمكن أن يجيء "على صورة كلمة واحدة أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء أو خليط من البنيات السطحية"<sup>(٣١)</sup> مما يؤكد أن نحو النص لا يتناول النص على أنه وحدات أكبر من الجمل أو جمل متوالية في سياق، وتلك الفائدة للجملة التي يحسن السكوت عليها — كما أشار الدكتور سعد مصلوح — إنما تصلح في نحو الجملة، لأن النص — كما يقول فاينرش — "وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل"<sup>(٣٢)</sup>.

وعلى هذا تكون استقلالية معنى الجمل في نحو النص غير قائمة، فالمعنى يتحدد من خلال النص لا من خلال الجملة، ومن هنا ترتبط في النص الأجزاء السابقة باللاحقة، فيمكن أن تفسر جملة سابقة جملة لاحقة والعكس؛ مما يؤدي إلى القول بكلية النص، ولهذا يشير الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف<sup>(٣٣)</sup> إلى أن النص لا يصبح نصا "إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا، فيها جديلة محكمة مضمورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضمورة تؤلف سياقاً خاصاً بالنص نفسه ينبثق في المرسلات اللغوية كلها" فينبغي إذن أن يكون لكل نص هدف وبناء محكم وسياق خاص، وعلى هذا "فإن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية — جملة مثلا — تحليلًا كاملاً دون مراعاة للسياق، قد أصبحت في السنين

(٣٠) د. سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص. جامعة الكويت، الكتاب التذكاري بقسم

اللغة العربية. إعداد: د. وديعه طه نجم، والدكتور عبده بدوي ١٩٩٠ ص ٤٠٧

(٣١) دي بوجراند: النص والخطاب ص ٦٤

(٣٢) نقلا عن د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي. دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة ١٩٨٩

ص ٣٦ وانظر أيضا د. سعيد بحيري: علم لغة النص ١٤٠

(٣٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف: منهج في التحليل النصي للقصيدة. فصول. المجلد الخامس

عشر، العدد الثاني، صيف ١٩٩٦ ص ١٠٨

الأخيرة محل شك كبير" (٣٦) ومن هنا وجدنا نحاة الجملة يعتمدون على اعتبارات ضمنية ذات صلة وثيقة بالسياق والخطاب والتواصل عند إصدار أحكامهم على الجملة، وإذن لا نستطيع تناول النص من خلال وصفه بأنه ذو وحدات كبرى أو جمل متوالية، إلا إذا وجدت خاصيته الأولى، وهي كونه وارداً في الاتصال. (٣٥) ولعل هذا ما جعل دي بوجراند يؤكد تلك الصفة المميزة للنص وهي وقوعه في الاتصال (٣٦) communication أي كان حجم النص، كلمة أم جملة أم شبه جملة ... إلخ، وهذا ما ذهب إليه شميميت أيضاً عندما أشار إلى أن " حد النص هو كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي - في إطار عملية اتصالية - محدد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق إمكانية قدرة إنجازية جلية" (٣٧) وعلى هذا فالنص منطوق لغوي في حالة اتصال وعلاقة مباشرة بين المبدع والمتلقي وهو " فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ" (٣٨) ومن هنا يأتي تعريف النص على أنه " نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة، بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً " وعلى هذا فالنص كما قال رولان بارت " هو الكتابة، والكتابة علم متعة الكلام، أو لنقل إنه الكتابة نفسها، وإذا أضفنا إلى هذا التعريف تعريف بول ريكور للنص الذي يقول فيه: " ألا فلنسم نصاً كل خطاب تشبه الكتابة " فإننا نجد أن هذين التعريفين يؤكدان على الحدث الكتابي مع استبعاد الأحداث الكلامية، وعلى هذا نقفز عدة أسئلة على ذهن: ما العلاقة إذا بين الكتابة والكلام؟ وهل الكتابة كانت كلاماً بالقوة؟ وهل الكتابة كانت ملفوظاً في أول الأمر بشكل فيزيائي؟ تساؤلات كثيرة تطرحها هذه

(٣٦) براون Brown وبول gule: تحليل الخطاب. ترجمة محمد لطفي الزليطى. و د.

منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، السعودية ١٤١٨ - ١٩٩٧ ص ٣٢

(٣٥) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء ص ٦٤ .

(٣٦) السابق - ص ٧٢ .

(٣٧) د. سعيد بحيري . علم لغة النص ص ٨١ .

(٣٨) د. منير عياشي: مقالات في الأسلوبية. منشورات اتحاد الكتاب العربي. ١٩٩٠ ص ١٣٢، ١٣١

لذة النص ٢٧، ٢٨.

التعريفات التي تحكم بأن الكتابة هي أصل وجود النص، وأن ماعداها من منطوق أو إشارة لا يدخل ضمن النص، وهذا كلام يحتاج إلى مناقشة.

وهناك تعريفات لا تشير من قريب أو بعيد إلى المنطوق أو المكتوب؛ لأن الربط فيها هو كل شيء؛ يقول الأزهري الزناد "النص نسيج من الكلمات يتربط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص" وهكذا يهتم التعريف بالربط اهتماما كبيرا دون إشارة صريحة إلى الكتابة أو النطق، وإن كان فيه ميل إلى الملفوظ.

أما هارتمان *Hartman*<sup>(٣٩)</sup> فيجد النص بأنه "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسميائي" ومن الواضح التأكيد على خاصية الاتصال والعمومية اللغوية والدالية.

أما فاينريش *weinrich*<sup>(٣٩)</sup> فقد حذّاه بأنه "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"؛ فالربط هو السمة الأساسية في هذا التعريف وما عداه عام وغامض.

وإلى مثل هذا يذهب برينكر *Brinker*<sup>(٣٩)</sup> الذي يعرف النص بأنه "تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل" فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملا، وإنما أجزاء متوالية، وبهذا نرى أن النص يمكن أن يكون كلمة مفهومة، أو جملة لا تندرج تحت وحدة أشمل.

إن المتأمل للتعريفات السابقة وغيرها يرى أن كل تعريف يركز على جانب واحد ويسقط من حسابه جوانب أخرى، ولهذا سوف نتبنى ذلك الاتجاه الذي أشار إليه الدكتور صلاح فضل عندما قال: "علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث النيبوية والسميولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة؛ لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكيئوته الدالية"

فالنص ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعا لجمل مترابطة يراعى فيه الظروف الخارجية أحيانا وزمانا ومكانا؛ إنه يتكون من

كل ذلك وأكثر. من هنا سوف نقرب من تعريف **جوليا كريستيفا** كما أورده الدكتور **صلاح فضل**<sup>(١٠)</sup> لأنه — على تشابهه — قد ظفر باهتمام خاص، فهو يرفض النظر إلى ظاهر النص فقط، ويؤكد هذه العلاقات المتداخلة وهذه المستويات والجوانب المتشابكة للنص، فهو إذا أكثر من مجرد كونه خطابا لغويا. إن النص عندها: "جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التوافقية، مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة، والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية، مما يعني أمرين:

(١) علاقته باللغة التي يتوقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع — عن طريق التفكير وإعادة البناء — مما يجعله صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

(٢) يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى؛ أي عملية "تناص"؛ ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه.

ومن الواضح أن النص عملية إنتاجية مركبة داخل اللغة، محركة لذاكرة الزمن تتقاطع نصوصها مع نصوص أخرى متداخلة الدلالة، ومن هنا فليس النص مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين طبقات الدلالية الحاضرة " (١١) أو كما يشير **رولان بارت**، إنه إنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية، إنه قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم، إنه مبنى مثل اللغة، لكنه ليس متمركزا ولا مغلقا. إن النص

---

(١٠) سوف اعتمد على ترجمة الدكتور **صلاح فضل** لتعريف النص عند **جوليا كريستيفا** لدقته. وقد ورد في كتابه: "بلاغة الخطاب وعلم النص" ص ٢٢٩ و"مناهج النقد المعاصر". الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٦ م ص ١١٢. أما مترجم كتاب "علم النص" **لجوليا كريستيفا** وهو **فريد الزاهي**، فترجمته تنسم بحظ كبير من الغموض وعدم الدقة. انظر الترجمة ص ٢١ — دار توبقال للنشر، المغرب ١٩٩٧ م.

(١١) **جوليا كريستيفا**. علم النص ص ١٤

يتكون من نقول متضمنة ، وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة، تكتمل فيها خريطة التعدد الدلالي. إن النص مفتوح ينتج القارئ في عملية مشاركة، لأن ممارسة القراءة إسهام في التأليف.<sup>(٤٢)</sup>

إن هذه الإشارات إلى النص جاءت من مفهوم تحليلي تفكيكي، وليس من تعريفات محددة وهو ما ينبغي العمل به. ومن ثم نستطيع أن نحدد ملامح النص، ونصفه ولا نعرفه من خلال تصور عام على أنه بنية شمولية لبنى داخلية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص، إنه نص واحد من جهة، يقابله نصوص كثيرة لا تحصى، يتناص معها ويدخلها؛ لأن النص يأتي ليتداخل مع نص سبقه في الوجود<sup>(٤٣)</sup> النص أيضا لا بد أن يكون مكتملا في دلالاته مكتفيا بذاته بالإضافة إلى كونه قولا لغويا مستديرا مكتملا يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي،<sup>(٤٤)</sup> وإذا كان النص بهذه الدلالة يتشكل من معان غير قابلة للتفكيك والتجزئة فإنه — كما يقول ماريو باي — من النادر جدا أن نجد الكلمات منفصلة في الاستعمال اللغوي، لهذا تتجمع الكلمات في شكل مجموعات، وحينئذ فطريقة تنظيم هذه الكلمات تصبح مهمة، وربما متحركة في المعنى كله.<sup>(٤٥)</sup> ومن هنا لا يتجزأ المعنى ولا تتفصل الكلمات عند النظر في النص إلا إذا كانت الكلمة وحدة نصية لا وحدة جمالية.

نستطيع أن نضيف إلى ملامح النص ما أطلق عليه روبرت دي بوجرانـد *Robert de Beaugrand* و *فلفجانج دريسلر Wolfgang dresslar* المعايير

---

(٤٢) د. صلاح فضل . بلاغة الخطاب وعلم النص. ص ٢٣١ وانظر أيضا عبد الله الغدامي:

"الخطيئة والتكفير" ص ٦٢ النادي الأدبي الثقافي جدة ١٩٨٥ م حيث لخص المؤلفان هذا

الكلام عن رولان بارت من مقالة كتبها عام ١٩٧١ م بعنوان : من العمل إلى النص .

وانظر أيضا د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١١٣

(٤٣) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير ص ٩٠

(٤٤) د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ص ١١٥

(٤٥) ماريو باي: أسس علم اللغة. ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر. عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣

النصية السبعة حيث أشار إلى مفهوم النص على أنه حدث تواصل يُلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص.<sup>(٤٦)</sup> وقد علق روبرت دي بوجراند على هذه المعايير بقوله: "أما أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يعد نصا، فذلك يتوقف على مراعاة هذه المعايير" <sup>(٤٧)</sup> - وسنتناول هذه القضية في جزء خاص من هذا البحث، ومن هنا لابد أن نشير إلى رأي براون ويول حيث يقولان: "لا نرى فائدة في تحديد عدد من الخصائص النحوية الأساسية التي لابد أن تتوافر في النص حتي يكون النص نصا" <sup>(٤٨)</sup> وربما كان هذا الرأي له ما يبرره إلا أن التنظير مطلوب لكيلا يترك لكل محلل وكل لغوي أن يوجد نحواً بعدد النصوص التي يقوم بتحليلها.

### نحو النص text grammar

مصطلح "نحو النص" واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفاً واحداً وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي. اشترك مع مصطلح نحو النص في تحقيق هذا الهدف بعض المصطلحات التي تعنى بذلك أيضاً وهي: "علم النص"، و"علم اللغة النصي"، و"نظرية النص" <sup>(٤٩)</sup> وإن كان مصطلح "نحو النص" أكثر اقتراباً من تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي، ويرى فان دايك أن علم لغة النص وظيفته الأولى دراسة نحو النص <sup>(٥٠)</sup> وذلك ضمن منهجه العام القائم على شرح معايير بناء النص، وجوانب الاستخدام اللغوي المهمة، وبخاصة إنتاج النص من

(٤٦) Introduction to text linguistics P. 19-79

المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو ١٩٩١ - أغسطس ١٩٩١ ص ١٥٤. وانظر د.

سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١٤٦ .

(٤٧) النص والخطاب والإجراء. ص ١٠٦.

(٤٨) براون . يول: تحليل الخطاب ص ٢٣٨

(٤٩) برند شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٣

(٥٠) د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ٢٢٢ ، ص ٣١١ هامش رقم ٤٩

خلال قواعد وشروط وأهداف مغايرة لعلم اللغة النظامي<sup>(٤١)</sup> ، مما جعله في طريقه للاستقلال عن العلوم الأخرى. ويأتي علم لغة النص مرتبطا بعلم النص الذي يدخل في حساباته دراسة النص من جوانب كثيرة، بعضها لغوي، وكثير منها غير لغوي، مما يجعلنا ندرك حجم هذا العلم ( علم النص ) الذي يدخل في مناهجه علوما كثيرة متشابكة ومتداخلة إلى حد كبير مثل اعتماده على البحوث التجريبية، والمنجزات النظرية لعلم نفس المعرفة، وارتباطه الوثيق بميدان الذكاء الاصطناعي<sup>(٤٢)</sup> ... إلخ.

غير أننا - ضبطا للحدود - نؤمن بالفصل بين لسانيات النص من جهة وعلوم أخرى تدرس النص من جهة ثانية، وهذا ما ذهب إليه بعض المحدثين.<sup>(٤٣)</sup> وعلى هذا تكون لسانيات النص تعني: علم لغة النص، أو نحو النص. ويشير الدكتور **صلاح فضل** إلى أن **فان دايك Van dijk** هو مؤسس علم النص،<sup>(٤٤)</sup> ربما كان ذلك بمفهومه اللغوي الذي يعني علم لغة النص في السبعينيات، حيث سبقه **هاريس Harris** مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن ، حيث نشر **هاريس** دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان: **تحليل الخطاب Discours analysis** الذي قدم فيه أول تحليل منهجي لنصوص بعينها.<sup>(٤٥)</sup> وعلى ما يبدو أن إرهابات هذا العلم بدأت على يد **هاريس** الذي احتل الريادة في هذا المجال.

أما **فان دايك** فهو الذي وضع تصورا كاملا لنحو النص منذ بداية عام ١٩٧٢ متجاوزا الآراء التي كانت مطروحة عن نحو النص ومحاولا إقامة "أنحاء النص" في كتابه: "بعض مظاهر نحو النص" **Some aspects of text grammar** حيث كان يقرن بين النص والخطاب في معنى واحد، الأمر الذي ألق عنه عام ١٩٧٧ في كتابه **Text and context** حيث فرق بين الخطاب والنص محاولا إقامة "نحو عام" للنص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية

(٤١) السابق ص ٥٧

(٤٢) د. **صلاح فضل**: . بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٤٨

(٤٣) **الأزهر الزنناد**: نسيج النص ص ١٨

(٤٤) د. **صلاح فضل**: . بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٥٢

(٤٥) د. **سعد مصلوح**: من نحو الجملة إلى نحو النص ٤٠٧، وانظر **برند شبلنر**: علم اللغة

والدراسات الأدبية ص ١٨٥، و**سعيد بحيري**: علم لغة النص ص ١٨



والسياقية والثقافية؛<sup>(٤٦)</sup> فرأى أن ميدان علم النص يشمل ميدان اللسانيات بشكل خاص. من هنا يعد *فان دايك* أحد الرواد الأوائل في إقامة تلك النظرية، مع أن كثيرا من اللغويين المعاصرين له كتبوا أيضا في علم النص مثل *شتمبل Stempel* و *جليسون Gleason*، و *هارفج Harweg* و *شميت Schmidt* و *دريسلر Dressler* و *برنكر Brinker* وغيرهم من اللغويين<sup>(٤٧)</sup> وبناء على كل ما مضى يكون مصطلح "نحو النص" مرتبطا بعلم اللغة النصي وعلم النص الذي يعد أحدث فروع الدراسة اللغوية وأهمها، والسبب في ذلك كما يقول الدكتور *صلاح فضل*<sup>(٤٨)</sup> لا يرجع إلى المستوى الزمني في ظهوره في الآونة الأخيرة عند نهاية القرن فحسب، بل يعود كذلك إلى أنه أكثر المناهج المعاصرة تبلورا، وإفادة من المقولات السابقة عليه واستيعابها، لإدراجها في منظومته العلمية " هذا الفرع الذي تشعب إلى حد كبير في بداية الأمر، فتعددت مناهجه وتصوراته ومفاهيمه، فقد اتخذ أشكالا متعددة من الاتجاهات، فمرة يعتمد على مفاهيم علم اللغة الوصفي مع رؤية جديدة لأقطابه تضاف إليه لتعطي له ميزة خاصة، ومرة يتكئ على مفاهيم علم اللغة الوظيفي، ومرة ثالثة يعتمد على علم اللغة التركيبي ( البنائي ) وأخرى يعتمد على علم اللغة التحويلي، إلى أن تشكلت مناهجه برؤية الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنص المدروس، وذلك يمثل صلب البحث النصي<sup>(٤٩)</sup>، وعلم لغة النص — كما يقول *كوزريو Coseriu* — ليس في الحقيقة شيئا غير المقدرة التأويلية، كما أن نظرية علم اللغة النصي ليست شيئا غير نظرية علم التأويل — التفسير — وذلك باعتبار أن علة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأن الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل لما هو لغوي<sup>(٥٠)</sup>. وهكذا يكون *نحو النص* متساوقا في أول الأمر مع علم اللغة النصي، وعلم النص، ونظرية النص، إلى أن أصبح في طريقه للاستقلال على يد *فان دايك* و *هاليدي* و *روبرت دي بوجراند* وآخرين.

(٤٦) د. *سعيد يقطين*: انفتاح النص الروائي ( النص — السياق ) المركز الثقافي العربي — بيروت

والدار البيضاء ١٩٨٩ م ص ١٥

(٤٧) Dressler, beaugrand; introduction to text linguistics. P . 14

(٤٨) د. *صلاح فضل*: مناهج النقد المعاصر ١١٢

(٤٩) د. *سعيد بحيري* علم لغة النص. ص ٥.

(٥٠) السابق. ص ٣٣.

## أسباب الحاجة إلى نحو النص :

تتنوع فوائد "نحو النص" وتتداخل مع أسباب الحاجة إليه، بعد أن أصبحت تلك الحاجة ملحة لتغيّر كثير من المفاهيم النقدية الحديثة، وتغير النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغة ووظيفتها عند تحليل الخطاب. وفيما يلي سوف نتكلم عن ذلك بإيجاز:

أولاً: من الواضح أن "نحو النص" قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب ووجود مذاهب نقدية جديدة تركز على النص كبنية كلية، لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية، وعلى هذا اجتذبت النصوص علم النحو بناء على وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصية، حيث صنع ذلك تطوراً واضحاً من نحو الجملة إلى نحو النص الذي يشمل النص، وسياقه، وظروفه، وفضاءاته، ومعانيه المتعلقة القبلية والبعدية، مراعيًا ظروف المتلقي وثقافته وأشياء أخرى كثيرة تحيط بالنص. إنه باختصار شديد: الأكثر اتصالاً بمجال تحليل النص.<sup>(٦١)</sup> أما ما كان يحدث في المناهج التراثية، فيذهب الدكتور تمام حسان إلى<sup>(٦٢)</sup> أنه كان تناولاً للنص بالشرح؛ فلم يكن ينظر إلى مجمل النص والتماس فهمه بوصفه ذا وحدة عضوية تجعل بعضه يفسر بعضاً، — عدا ما كان يحدث عند بعض المفسرين — وإنما كان الشراح يبنون شروحهم على المفردات فترى الواحد منهم يعرض للفظ المفرد ثم، يغوص في الدلالة المفردة لهذا اللفظ، مع ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص. وما كان لهذا المنهج في شرح النصوص أن يؤدي إلى الفهم الكامل لدلالاتها ومقاصدها.

ولعل هذا الفهم كما يشير الدكتور تمام يصدق حتى على عمل المفسرين وشرحهم للنص القرآني، مع أن بعضهم أدرك ضرورة وجود هذه العلاقات التماسكية، وأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأن السنة تفصل ما في القرآن من إجمال.

وحيثما ظهرت تلك المذاهب النقدية الحديثة في أوروبا وأمريكا انكأ النقد على اللسانيين، فظهرت تلك العلاقة الوثيقة التي ربطت بين اللسانيات والدرس الأدبي منذ ثلاثة عقود في أوروبا وانتقلت أصداؤها إلى الدراسات العربية منذ زمن ليس بالبعيد، مما جعل اللغويين يتمردون على الجملة باعتبار أن الوقوف أمامها يمثل تحليلاً جزئياً بعيداً عن كلية النص. هذا النص الذي

(٦١) محمد مفتاح : دينامية النص ص ٣٠

(٦٢) مقدمة كتاب "النص والخطاب والإجراء" ص ٤

لم يعد تتابعا مسلسلا من الجمل، ولكنه مبنى فريد قائم برأسه. وقد أكد *بايك* هذه الدلالات وأوجب أن يتسع مفهوم النحو ليصبح مكونا من مكونات نظرية شاملة تفسر السلوك الإنساني.<sup>(٦٢)</sup> وقد تنبه *بايك* إلى تقلص دور اللسانيين في دراسة النص وأراد لهم أن يمتلكوا زمام الموقف، فأنكر عليهم انصرافهم عن دراسة النص الأدبي لصالح نقاد الأدب. مع ما للمعالجة اللسانية من أهمية خاصة في تقديم الأساس الموضوعي للأحكام النقدية.<sup>(٦٣)</sup> فأصبح للنحو دور كبير في تفسير النص من خلال تلك النظرة الشاملة والمنهج المتكامل للنص، الذي كان من نتائجه ظهور دراسات لغوية نصية تتناول تركيب النص.<sup>(٦٤)</sup> ولهذا لجأ اللغويون إلى نحو النص باعتباره بديلا موضوعيا لنحو الجملة.

**ثانيا:** كثير من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار الجملة تفسيراً كافياً مقنعا، وربما تغير الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة، ويمكن أن تكون هذه الوحدة هي النص.<sup>(٦٥)</sup> من هنا فإن نحو النص يهتم في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة، إنه يذهب في تحليله إلى قواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية ليقدّم شكلا جديدا من أشكال التحليل لبنية النص، وتصور معايير التماسك والترابط والانسجام " ولهذا تضافرت تقارير اللسانيين من أمثال *بايك* و*هارتمان* و*جليسون* و*ساندرز* و*لونجاكر* و*فان دايك* وغيرهم على أن نحو النص بالنسبة لأي لغة بعينها هو أكثر شمولاً وتماسكا واقتصادا من النحو المصور في حدود الجملة.<sup>(٦٦)</sup> ومن هنا تغيرت الأهداف وتحددت أهداف كبرى جديدة نصية حيث غني علم اللغة النصي في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها كما يقول *سوينسكي* *sowinski* علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى

(٦٢) د. سعد مصلوح . من نحو الجملة إلى نحو النص ص ٤١١

(٦٣) السابق نفسه

(٦٤) *برند شبلنر*: علم اللغة والدراسات الأدبية ١٩١ وانظر: *الأزهر الزنادة*: نسيج النص ص ١٦

١٧، د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١٠٦، ١٠٧،

(٦٥) د. سعيد بحيري: السابق ص ١٣٤

(٦٦) د. سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص ص ٤١٥

الضمير، والتتويجات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية.<sup>(٦٨)</sup> ومن هنا نقول: إن تغير مهمة النحو الذي يتجه إلى النص قد غير أهدافه بتعديلها، أو بوجود أهداف جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة فالتحليل النحوي اتجه إلى النص وبالتالي جاء تغير المنهج والأهداف عاملاً أساسياً لضرورة الحاجة إلى نحو النص.

**ثالثاً:** تغير الدرس اللساني في نظرته إلى اللغة. وذلك للإحساس الطاعني بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلية الذي يعده علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية، ومن هنا — كما يقول الدكتور سعد مصلوح — "أدرك علماء اللسان أن اجتراء الجمل يحيل اللغة الحية فتاتاً وتفريق من الجمل المصنوعة المجففة أو المجمدة"<sup>(٦٩)</sup>، وذلك إشارة إلى شواهد النحو والبلاغة التي تأتي غالباً مصنوعة، أو منزوعة من سياقها، مما يتنافى ونحو النص.

تلك الوظيفة الاجتماعية، وهذا الدور التواصلية للغة يفسحان الطريق للنحو أن يتسع مفهومه، كما يشير *بايك* منذ قليل، ليصبح مكوناً من مكونات نظرية شاملة، تفسر السلوك الإنساني، وهذا لا يتم إلا من خلال نص مرتبط بسياق تواصلية وليس من خلال جملة.

**رابعاً:** إضافة مهام جديدة للنحو ليست من اختصاص نحو الجملة ولكنها ضمن مهام نحو النص، ومن تلك المهام كما يشير *فان دايك* "صياغة قواعد تمكّننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية؛ فنحو النص إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في عدد لا نهائي من النصوص"<sup>(٧٠)</sup>

**خامساً:** الإفادة من نحو النص في خدمة الترجمة من لغة إلى لغة أخرى، حيث يرى *روبرت دي بوجراند* أنه يمكن للسانيات النص أن تقدم إسهاماً لدراسات الترجمة، بعكس اللسانيات التقليدية التي تعنى بالنظم الافتراضية، لأن الترجمة من أمور الأداء، وليس امتلاك النحو والمعجم فقط كافيًا للقيام بالترجمة؛ بسبب الحاجة

(٦٨) مقولة *sowinski* نقلاً عن د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي ص ٣٣

(٦٩) د. سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص ٤١٠

(٧٠) نقلاً عن د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١٣٥ ، ١٣٦

إلى الترابط في استعمالات اللغة، وذلك من المهام الأساسية لنحو النص. لذا يمكن أن يفيد كثيرا في هذا المجال في النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية أو العكس.

**سادسا:** نستطيع من خلال نحو النص أن نعيد النظر في بعض المفاهيم اللغوية التقليدية السائدة، وذلك إما لتعميقها أو لتعديلها، وسأعطي مثالين على ذلك:

أ - يشير النقاد إلى افتقار قصيدة العصر الجاهلي إلى الوحدة العضوية؛ وذلك لتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة. ولكن يمكن من خلال نحو النص إعادة دراسة القصيدة في العصر الجاهلي من خلال وسائل التماسك، وذلك لإيجاد هذا الترابط المفهومي الملحوظ أو حتى بعض وسائل الربط الرصفي الذي ينتج عنه القول بوجود وحدة عضوية كاملة. وقد قدم الدكتور **سعد مصلوح** نموذجا لتلك الدراسة حول قصيدة المرقش الأصغر (بنت عجلان)، وقد استطاع أن يلمس "مدى إحكام النسيج في التشكيل اللغوي للنص، وصلة ما بين ظاهر النص وعالم النص"<sup>(١١)</sup> واستطاع أن يكشف بواسطة السبك Cohesion والحبك Coherence عن ثراء النص والقدرة الكافية والفعالة فيما هو نتاج إبداعي.

ب - النظر في مفهوم التضمين<sup>(١٢)</sup> بوصفه عيبا من عيوب القافية فقد عابه العروضيون مع أنه ارتباط دلالي (رصف أو مفهوم) مباشر، وهو تعالق نحوي بين بيتين، فالبيت الأول يحتاج البيت الثاني في قول الشاعر:

كأن القلب ليلة قيل يغدى      بليلي العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت      تجاذبه وقد علق الجناح

وعد العروضيون والبلاغيون القدامى ذلك قبحا "وأن مثل هذا الارتباط من العيوب التي يجب على الشاعر تفاديها"<sup>(١٣)</sup>

وإذا أعملنا النظر نحو النص في هذا الأمر نجد ترابطا واضحا وتماسكا دلاليا قائما بين البيتين، يقول الدكتور **صلاح فضل**: "ومن الواضح أن الصورة الشيقة في هذه الأبيات الغزلية العذبة لم تشفع للشاعر عند البلاغي المعياري

(١١) د. **سعد مصلوح**: نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٦٥ وانظر الدراسة كاملة في مجلة

فصول يوليو ١٩٩١، أغسطس ١٩٩١ المجلد العاشر من ص ١٥١ إلى ص ١٦٦

(١٢) التضمين عند العروضيين "تعليق قافية البيت الأول بالبيت الثاني" انظر **الخطيب التبريزي**.

الكافي في العروض والقوافي - الخانجي ١٩٧٧ ص ١٦٦

(١٣) د. **صلاح فضل**: بلاغة الخطاب ص ٢٦٤

الصارم الذي يرى في البيت وحدة نحوية لا ينبغي أن تظل مفتوحة بأي شكل على البيت المجاور لها" <sup>(٧٦)</sup> ومن هنا تدخل الرؤية الواضحة لنحو النص لتحسم الموقف مؤكدة أن هذا الترابط ليس عيباً بما فيه من انسجام وتلاحم رصفي ومفهومي. وهكذا نستطيع أن نغير رؤيتنا حول بعض المفاهيم من خلال نحو النص.

**نحو النص والسياق:**

ثمة مفهومات جديدة للنص وطريقة تحليله نحوياً شكاك النظرية إلى اللسانيات الراهنة؛ فالنص بمفهومه الحديث يتجاوز كل حدود المعيارية للنحو التقليدي - نحو الجملة - كما أنه يتجاوز كل العادات القرائية التقليدية وطرق التحليل اللغوي المعروفة عن طريق تقسيمه إلى وحدات، ومن خلال المفاهيم اللغوية لهذا المنهج ندرك أن النص إبداع يتفاعل مع اللغة وينسجم معها من خلال تحرك غير مقيد في فضاءات لا تحد.

وهو أيضاً غير قابل لأن توضع له معايير من خارجه تحدد جملة وتراكيبه، ولا يفعل ذلك سوى النص نفسه بدلالاته القصدية، ومن هنا فإن النص المنجز لا يتم تحليله لغوياً إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، إنه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص، بل ويوجدها، يقول جون لوينز <sup>(٧٧)</sup> "إن النص ومحتوياته - من وجهة نظرنا - إنما هما أمران متكاملان؛ فكلاهما يعضد الآخر ويقويه، ومن ثم فإن النصوص تحتوي على مكونات لسياقات لغوية في المواضع التي توجد فيها، والسياقات هي التي تقوم بخلقها وإيجادها".

ولهذا فإن المكونات الدلالية لأي نص لا تظهر إلا من خلال السياق، ومن ثم يصرح فيرث <sup>(٧٨)</sup> بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية، وهي ما

(٧٦) السابق ٢٦٥

(٧٧) Linguistic Semantics p.93

(٧٨) نقلاً عن د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٦٨ .

أطلق عليه فيرث "سياق الموقف"، أو ما أطلق عليها بالمر "السياق غير اللغوي"،<sup>(١٠٠)</sup> حيث يراعى ذلك السياق ثقافياً أو عاطفياً، ومن هنا فمن الأجدى أن تتداخل كل السياقات وتتأزرر في التحليل النصي إلى الحد الذي يمكن لنا أن نستخدم كلمة السياق دون تمييز بين السياق اللغوي من جانب والسياق الاجتماعي من جانب آخر، كما يشير إلى إمكانية ذلك الدكتور محمود فهمي حجازي،<sup>(١٠١)</sup> فقط ينبغي أن يراعى في تلك السياقات "توافق الوقوع أو الرصف"، هذا الرصف الذي يعني "الارتباط الاعتيادي" لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى.<sup>(١٠٢)</sup>

وإذا كانت نظرية السياق مهمة بالنسبة للنظر النحوي على مستوى النص فإن لها — كما هو واضح — أهمية على مستوى الجملة، حيث إنها — كما يقول الدكتور أحمد مختار عمر<sup>(١٠٣)</sup> — "تحدد مجالات الترابط والانتظام بالنسبة لكل كلمة، مما يعني تحديد استعمالات هذه الكلمة في اللغة"، ومن هنا أكد على السياق بقوله: "لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة"<sup>(١٠٤)</sup> كما أكد ذلك أصحاب نظرية الحقول الدلالية مما يؤدي إلى الإحساس بالترابط بين أجزاء الجملة أو أجزاء النص، ومن هنا أكد بوجراند<sup>(١٠٥)</sup> وديسلر دور السياق بقولهما: "يجب ألا نعزل النصوص عن السياقات الواقعية؛ فنحن نبني النماذج حيث تستخدم اللغة في نصوص واقعية في ضوء المعرفة الإدراكية الواسعة" لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو السياق؟

---

(١٠٠) نقلا عن د. محمود فهمي حجازي — مدخل إلى علم اللغة — دار قباء للطباعة — القاهرة

١٩٩٨ ص ١٥٩.

(١٠١) السابق نفسه.

(١٠٢) د. أحمد مختار عمر — علم الدلالة ص ٧٤.

(١٠٣) السابق ص ٧٨.

(١٠٤) السابق ص ٨٠.

(١٠٥) Introduction to Text Linguistics p.93

إنه حقيقة سؤال محير فليس هناك إجابة مباشرة عنه؛ يقول جون لويونز<sup>(٨٣)</sup> "لا توجد إجابة بسيطة يمكن أن تقدم عن السياق، لكن هناك حقيقة مؤكدة: إن النظريات المعروفة عن السياق وخاصة اللغوية منها تؤكد الحاجة إلى الربط بين العلوم المختلفة منها علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجي"، وكل هذه العلوم يمكن أن تساعد سياقيا في تحليل النص من خلال مزجها في عقل المتلقي ونفسيته. ومن هنا يكون الربط واضحا بين السياق اللغوي والتحليل النصي إلى حد كبير؛ فالأحداث الكلامية في اللغة الفصحى يمكن أن تختلف في تفسيرها ومفهومها حسب الموقف اللغوي، ولهذا يقول جون لويونز<sup>(٨٤)</sup> "ينبغي علينا أن نحصر هذه الأحداث الكلامية من أجل وصف تراكيبها النحوية والدلالية"، فالأمر ليس مقتصرًا على وصف التراكيب نحويًا، بل يتطرق أيضا إلى وصفها دلاليًا، ولهذا يؤكد جون لويونز على التحديد الدلالي للتراكيب من خلال السياق بقوله<sup>(٨٥)</sup> "يحدد السياق معاني الأحداث الكلامية"، ومن هنا فإن على المحلل مهمة صعبة وشاقة، وهي أن يأخذ السياق بعين الاعتبار، وأن تتوفر لديه مجموعة من المعلومات عن السياق يمكن أن يحدد الاحتياج إليها كثرة أو قلة حسب النص. ولعل ما قاله براون ويول يشير إلى ذلك بشكل مباشر وصريح حين يقولان<sup>(٨٦)</sup> "ومن الوحدات اللغوية التي تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق لتيسير فهمها نورد الأدوات الإشارية، مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، . . . وذلك . . . فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب ذلك منا - على الأقل - معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي" على حين توجد وحدات لغوية أخرى لا تحتاج إلى كبير معرفة بالسياق، وذلك مثل الأحداث العامة، والأحكام الشاملة التي تأتي في سياق الخطاب، هذا الخطاب الذي يعد إنجازا لغويا يعادل الكلام. أما النص الواقع على الصحيفة كما تقول جوليا كرسنيفا<sup>(٨٧)</sup> "فيكون دائما مختلفا عن كلامنا الصوتي"، فمن شأن المتكلم ألا يخبر

(٨٣) Linguistic Semantics. P. 229

(٨٤) Ibid p. 2٥2

(٨٥) Ibid. p. 263.

(٨٦) براون ، يول: تحليل الخطاب ص ٣٥ .

(٨٧) علم النص ص ٦٥ .



الناس بما يفترض أنهم يعلمونه، وإن كان الأمر يأتي على غير ذلك؛ فالكثير من مادة المحادثة يكون معروفا، ولكن كما يقول روبرت دي بوجراند<sup>(١٠٠)</sup> "المجهول في هذا الصدد هو التكييف المحدد لنموذج عالم النص في الخطاب؛ لأن ثمة ما هو جديد من التجميعات والقيود والتعديلات أو التوجيهات " هذا الجديد من التجميعات والقيود والتعديلات والتوجيهات يستطيع نحو النص الكشف عنه من خلال السياق ومجموعة القواعد الحاكمة لنحو النص.

ومن هنا فلا بد أن يؤجل تحليل النص إلى ما بعد أن ينتهي منه المتكلم أو المبدع، فإذا كان هدف المبدع كما يقول الدكتور جابر عصفور أن يكشف عما بداخله بفعل التعبير فإن هذا " الفعل اللازم لا يتعدى إلى غير صاحبه إلا بعد اكتماله أو انتهائه " <sup>(١٠١)</sup> ، فالتحليل النحوي لا يتم إلا بعد الانتهاء التام من النطق أو الكتابة، وعليه أيضا يبدأ المتلقي في قراءة النص وتحليله، حيث يكون النص قد وضع داخل سياقه اللغوي والاجتماعي فيؤول تأويلا صحيحا لا نقص فيه ولا التواء. فمهمة النص ترتبط ارتباطا كبيرا بانتهائه وتواصله مع المتلقي " ولا يمكن لأي نص فني أن ينجز مهمته الاجتماعية إلا بحضور - تحقق - تواصل جمالي في الجماعة التي يعاصرها " ، كما قال لوتمان <sup>(١٠٢)</sup>

ومهمة نحو النص بناء على ذلك تحليل النص داخل هذا التفاعل الاجتماعي التواصلية مراعي ظروف الكاتب والمتلقي معا  
موضوعات نحو النص :

ما زال "نحو النص" مفتقرا إلى إثبات هويته بشكل نهائي، وتحديد ملامح صورته إذا قيس بالعلوم الأخرى، أو قيس ببقية فروع علم اللغة ذات التاريخ الطويل؛ لأن نحو النص يتطور بشكل سريع، ولم يستقر بعد على شكل نهائي، ولهذا فإن حصر موضوعاته بشكل نهائي جامع مانع فوق إمكان الباحث، نظرا لهذا التطور السريع المتلاحق، علاوة على اختلاف المناهج والمدارس اللغوية التي

(١٠٠) النص والخطاب والإجراء ص ٩٣ - وانظر مقدمة المترجم - د. تمام حسان - ص ٤٧.

(١٠١) د. جابر عصفور:- نظريات معاصرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨ ص ٣٨ .

(١٠٢) نقلا عن د. عبد الفتاح الحجمري - عتبات النص - البنية والدلالة - شركة الرابطة - الدار البيضاء - ١٩٩٦ ص ١٤ .

تشكل عدم استقرار لموضوعاته بشكل نهائي، كذلك فإن كثيرا من نظرات هذا الاتجاه وتحليلاته لم تستقر بعد.<sup>(٩١)</sup>

وفيما يلي محاولة للاقتراب من موضوعاته سواء انفرد بها، أو اشترك فيها مع نحو الجملة، وذلك لتجلية الصورة القائمة الآن.

نستطيع القول بأن نحو النص يتوفر على دراسة النص المنجز فعلا، من حيث هو بنية كلية موضوعية في مقام ما أو سياق ما، ويكون ذلك بعملية تسجيل عناصر النص في بنيته المجردة بعيدا عن المضمون، ولهذا فموضوعه محدد في إطار " ما يكون به الملفوظ نصا "، وهو يختلف عن نحو الجملة اختلافا بينا؛ حيث يحدد نحو الجملة مجموعة من القواعد للدراسة، محاولا إثباتها من خلال النماذج التي يمكن أن تصنع من أجل ذلك، أما نحو النص فيدرس النص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، ولهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد الكبرى التي تعترف للنص بنصيته، فنحو النص Text Grammar إنما هو " نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه "<sup>(٩٢)</sup>

ولا شك أن بعض الموضوعات والقضايا تشترك بين نحو الجملة ونحو النص، غير أن التطبيق سوف يختلف، وكذلك النتائج.

وفيما يلي محاولة من روبرت دي بوجران<sup>(٩٣)</sup> لتحديد موضوعات النموذج

النحوي عند تناول نص من النصوص، تلك الموضوعات هي:

- \* التعرف على التراكيب الكبرى في قياس نمطي لتحديد المألوف منها.
- \* التفريق بين الأقسام الرئيسية والفرعية للعناصر، كالتفريق بين الكلمات الوظيفية، كالحروف والروابط المساعدة، والكلمات المعجمية وهي: الأسماء والأفعال والصفات والظروف.

(٩١) د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١٦١ .

(٩٢) د. سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص ص ٤٠٧ .

(٩٣) النص والخطاب والإجراء ص ١٥٥ .

\* الروابط وتشمل أداة مطلق الجمع، وأداة التخيير، وأداة الاستدراك، وأداة التبعية للتركييب.

\* التفریع والتكرار والإدماج، والعناصر الصالحة لأن يستغنى عنها، والعناصر غير المتواصلة، والتراكيب الملبسة، والتراكيب الناقصة والخاضعة للحذف.

والملاحظ أن روبرت دي بوجراند يشير إلى أن هذه الموضوعات جرى التفكير فيها في لسانيات الجملة،<sup>(٩٤)</sup> وإن كانت مرتبطة أكثر بنحو النص.<sup>(٩٥)</sup>

وهناك موضوعات أخرى عند دي بوجراند خارج نطاق نحو الجملة، وهي التخطيط بين العبارة السطحية والمستويات الأعمق عند الإجراء وإصدار الأحكام وإجراءات الاختيار.

إن نحو النص — باختصار شديد — يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة، ودرجات الربط النحوي، والتماسك الدلالي والنماذج الهيكلية المتنوعة، النظرية والتطبيقية.<sup>(٩٦)</sup> كما أنه يمكن أن يكون معينا على تفسير ما عجزت عنه الأنحاء الأخرى، إن كثيرا مما وصف بالشذوذ في قواعد اللغة يمكن أن نجد له تفسيراً مقنعاً في نحو النص، كما يؤكد فان دايك، وكذلك فإن كثيرا من الظواهر التي تستعصي على الوصف في اللسانيات المعاصرة يمكن أن تعالج أو تصاغ بطريقة أفضل إذا وصفت من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك، لذلك كله أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين المعاصرين ضرورة لا اختياراً<sup>(٩٧)</sup> وذلك لوجود هذا القدر من الاهتمام لديهم بالنص وبالظواهر التركيبية له، ومن تلك الظواهر علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق

---

(٩٤) السابق نفسه .

(٩٥) أشار الدكتور تمام حسان تعليقا على كلام روبرت دي بوجراند وتحديد هذه الموضوعات نحو النص إلى أن ذلك ربما كان من المعقول بالنسبة لنموذج نحوي لنظرية عن النصوص عند استعمالها أن يشتمل على تناول هذه الموضوعات عند المؤلف — بوجراند —. النص والخطاب ص ١٣، ولعل هذا يدل على أن هذه الموضوعات تخص نحو النص بشكل محدد عند تناول النص.

(٩٦) د. سعيد بحيري: علم لغة النص ص ١٤٣ .

(٩٧) د. سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص ص ٤١٦ .

والتقابل، والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجميل المفسرة، والتحول إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها،<sup>(٩٨)</sup>... الخ.

لقد توسع *فان دايك* في دراسته لنحو النص اعتمادا على عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز الجملة إلى النص، وإن كان هذا لا يعني عدم أهمية نحو الجملة أو التقليل من شأنه، هذا التوسع جعله يقسم النحو إلى مستويات ثلاثة: المستوى الأول: قواعد التحليل اللغوي التواضعية

وهي عبارة عن أنساق لغوية تحدد السلوك اللغوي، كما يتجلى في استعمال الأقوال اللغوية، وذلك يعني اهتمام النحو بصياغة البنيات المجردة للأقوال؛ صوتيا وتركيبيا، ومورفولوجيا عند مستعملي اللغة. ويشير *فان دايك* إلى أن الذي جعل هذه القواعد تواضعية كونها مشتركة بين أفراد عشيرة لغوية،<sup>(٩٩)</sup> وهي قواعد يستتبها هؤلاء الأفراد وفق الأقوال اللغوية. وهذا المستوى يركز على البنية الشكلية للنص، حيث يركز على وجود مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص ذاته تتوفر على دراسة النص وتراكيبه وأبنائه ووظيفته بمعايير علمية.<sup>(١٠٠)</sup>

#### المستوى الثاني: المستوى الدلالي

يرى *فان دايك* أن النحو إذا لم يهتم بالمعنى يظل ناقصا، ولذلك يشير إلى أن الأمر يقتضي ضرورة أن يحدد النحو بنية المعنى المرتبطة بهذه الأشكال، وذلك رغم أن المعنى ليس من بنية الأقوال، وعلى هذا يمكن وصف النحو بناء على ورود المستويين السابقين بأنه "نسق نظري من قواعد الصورة والمعنى"،<sup>(١٠١)</sup> وفي هذا المستوى الدلالي وجد التطابق الإحالي والإشاري وغيرهما، ومنه علاقات التماثل والاحتواء والتجاوز والتقابل، وهي في الحقيقة علاقات إحالية تفسر من خلال مقولات منطقية محددة، تتجاوز العلاقات أو المعاني النحوية، والهدف من ذلك إيجاد ترابط بين أجزاء النص من خلال علاقات دلالية، وقد أضاف بعد ذلك

(٩٨) د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي ص ٣٣.

(٩٩) محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) - المركز الثقافي العربي -

بيروت - الدار البيضاء ١٩٩١ ص ٢٨.

(١٠٠) د. سعيد بحيري . علم لغة النص ص ٢١٨ .

(١٠١) محمد خطابي: لسانيات النص ص ٢٨ ، ٢٩ .

الترتيب الزمني وتطابق المحمولات أو تعالقها، ثم تعالق العوالم الممكنة، ثم مفهوم محور الخطاب أو مفهوم الإطار، ثم علاقات الرؤية والتذكر والاسترجاع وصولاً إلى البنية الكبرى، أو البنية الكلية، أو البنية الدلالية المجردة،<sup>(١٠٢)</sup> ووصولاً إلى المستوى الثالث.

### المستوى الثالث : المستوى التداولي

ويعني ذلك دراسة وصفية للنص من واقع النظر إلى كونه مقبولا تداوليا خلال السياق الذي أنجز فيه، وهو مستوى العمل؛ بمعنى أن القول لن يوصف فقط بمراعاة بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما سيوصف أيضا باعتبار الفعل المنجز بإنتاج مثل هذا القول<sup>(١٠٣)</sup> فلم تعد دراسة النص كافية من خلال وصف بنيته النحوية أو الدلالية وإنما لابد من دراسته على مستوى الخطاب، أي الحدث الكلامي وما يتطلبه من قيود ومعايير، وهذا المستوى يعيد مناسبة المنطوقات، أو الجمل الصغرى إلى السياق التواصلية الذي تتجزأ فيه،<sup>(١٠٤)</sup> والنحو في مستواه الأول يكون على مستوى نحو الجمل، ولا يمنع تطبيقه على نحو النص بشكل أوسع، أما المستويان الثاني والثالث فهما يعبران عن مستوى نحو النص غير أن المستوى الثاني كما يشير سوينسكي بمفهوم النحو الضيق، والثالث بالمفهوم الأرحب، فقد أشار سوينسكي إلى أن "نحو النص بوجه خاص يتركز بمفهوم ضيق له في بنية صغرى نصية مثل علاقات الربط الأساسية، والإحالة المصاحبة والتماسك الدلالي والربط النحوي"<sup>(١٠٥)</sup>

أما النحو بمفهوم أكثر رحابة فهو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تصل قدرتها التشخيصية - كما سبق القول - إلى مستوى ما وراء الجملة حيث يصل إلى النص أو الخطاب بتمامه من خلال معارف لغوية نصية عامة<sup>(١٠٦)</sup>، ومن هنا كانت الحاجة إلى نحو النص حيث ارتبطت موضوعاته بالخطاب العام

(١٠٢) د. سعيد بحيري . علم لغة النص ص ٢٤٧ .

(١٠٣) محمد خطابي . لسانيات النص ص ٢٩ .

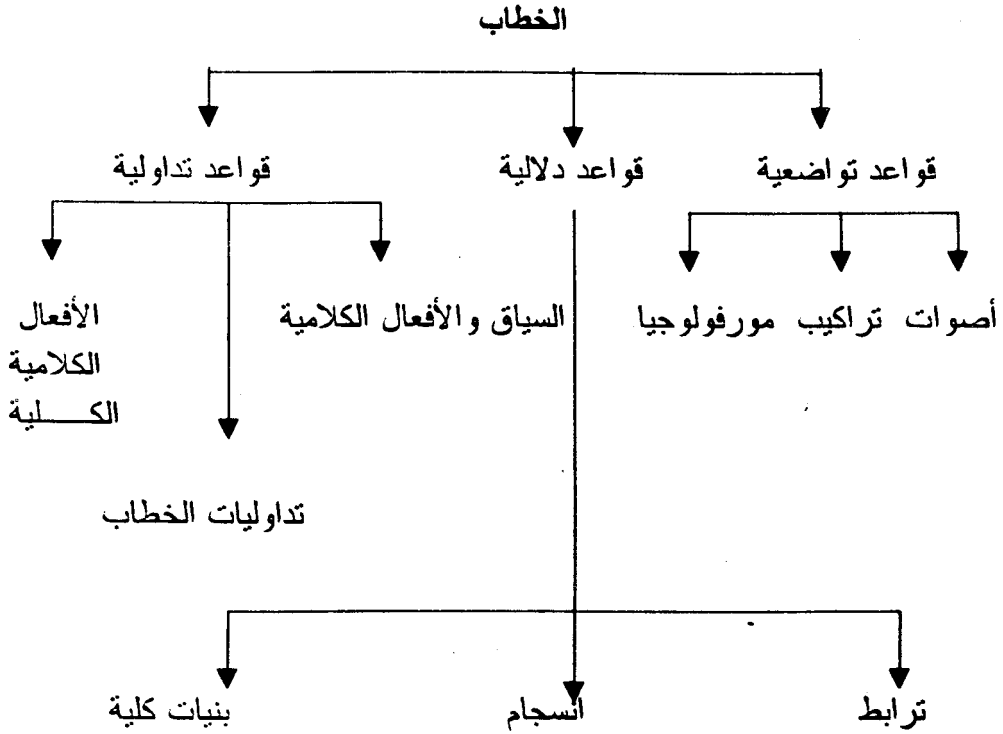
(١٠٤) د. سعيد بحيري . علم لغة النص ص ٢٣١ .

(١٠٥) السابق ١٥٠ .

(١٠٦) السابق ١٥١ .

والسياق التواصلية وظهر للمتلقي دور كبير في العملية الإبداعية للنص ، كما ظهر أن قواعد نحو النص تؤخذ من النص لتؤكد نصيته ، وقد يحتاج النحوي إلى إضافة قواعد أخرى لتأكيد نصية النص.

ونستطيع أن ننظر إلى الشكل التالي لرؤية الصورة في إيجاز:



ويعد الترابط النصي — أنواعه ووسائله — موضوعا مهما من موضوعات نحو النص فقد أفرد له **هالدي** ورقية حسن له كتابا مستقلا، وشغل حيزا كبيرا في مؤلفات **فان دايك** و**دريدا** و**دي بوجراند** وغيرهم، مما يجعلنا نفرد له مبحثا خاصا به في هذا البحث.

**للبحث بقية**